

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[144] لَيْدُخْرِجَنَّ - لَا عَزْزٌ مِنْهَا إِلَّا ذَلٌّ - وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرِينَ - الْمُؤْمِنَاتُ فَفَقِينَ - لَا يَعْلَمُونَ (1). إذا
لم يكن المنافقون يعيشون حالة (الغرور) فلا داعي لأن يتجسّسوا بثروتهم وأموالهم أمام
المؤمنين وينظروا إليهم نظر الاحتقار والإزدراء وبالتالي ينزلقون في وادي الكفر والنفاق
والضلال. -- "الآية التاسعة" تتحدّث عن طبيعة الإنسان، أو بعبارة أخرى : طبيعة الإنسان
الذي لم يتكامل في مدارج الكمال الأخلاقي بل بقي في حالة عدم النضج النفسي والروحي،
فمثل هذا الإنسان عندما يجد □ قد أنعم عليه نعمة فإنه يمتلكه الغرور والطغيان بسبب ضيق
أفقه وتفكيره فتقول الآية (وَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَغَىٰ رِبِّهُ
فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّاهُ فَأَقْبَلُ رَبِّي أَكْرَمَنَ) (2). إذا كان هذا الكلام صادراً
من موقع الشكر والثناء □ تعالى فإنه يدلّ على التواضع قطعاً ويدفع الإنسان بالتالي إلى
مساعدة الأيتام والمساكين، ولكن كما هو الظاهر من جوّ الآيات أن هذا الإنسان بعد ذلك
يتحدّث من موقع الغرور والعجب، وبهذا فإنّ هذا الكلام ليس فقط لا يترتب عليه أثراً
إيجابياً ومطلوباً بل سيكون مصدراً لطغيانه وتكبره على الحقّ. -- "الآية العاشرة"
تتحدّث عن المشركين الأنانيين والمغرورين في مكّة وتقول (أَمْ يَحْقُولُونَ نَحْنُ
جَمِيعٌ مِّنْكُمْ نَصْرُهُ) (3). ولكن □ تعالى بعد ذلك يحذر هؤلاء المغرورين وينذرهم بالعذاب
القريب ويقول (سَيُهِزِّمُ الْإِسْلَامَ وَيُؤَلِّسُ الْدِّبْرَ) (4). وفي جميع هذه
الموارد نلاحظ جيداً أنّ الغرور يمثل عاملاً مهماً في تورط الإنسان في 1. سورة المنافقون،
الآية 8، 2. سورة الفجر، الآية 15، 3. سورة القمر، الآية 44، 4. سورة القمر، الآية 45.